أهمّيّة دَوْر الأب في التّنشئة والرّعاية

رامي أبٌ من لبنان، أدرك مع ابنه "جبران" (ثماني سنواتٍ) أنّ دَوْر الأب أكبرُ بكثيرٍ ممّا كان يعتقِد. في لبنان، ليس من المتوقَّع من الآباء المشاركة في رعاية أطفالهم. إذ من المتعارَف عليه أنّ دَوْرهم الأكبر هو في العمل خارج المنزل، وتأمين المستلزمات المادّيّة للعائلة. عاشت عائلة "رامي" في المملكة العربيّة السّعوديّة، وبعد ولادة "جبران" ببضعة أشهُرٍ انفصل الأمّ والأب، وعادت عائلة "رامي" كي تعيشَ في لبنان. في خلال بضعة أشهُرٍ أدرك "رامي" حاجته كي يكونَ جزءًا من حياة طفله. لذلك، قرَّر أن يتركَ عمله في الخارج ويعودَ إلى لبنان. لمدّة سنتين، لَعِبَ "رامي" دَوْرًا في حياة طفله اليوميّة. قرأ له قصصًا قبل النّوم، ساعده في الاستحمام، حضَّر له الطّعام، غَسَلَ ثيابه... في خلال هذه الفترة، وُلِدَ رابطٌ قويٌّ جدًّا بين الأب وابنه. للأسف، ومع الظّروف الاقتصاديّة المتردِّية في لبنان، اضطُرَّ "رامي" أن يسافرَ إلى دبي. لم يتمكّن "جبران" من التّعامل مع غياب والده، وظهرت عليه علامات الضّغط النّفسيّ. يقول "رامي": "أرسل إليّ ابني رسالةً قويّةً جدًّا، بأنّني أكثرُ من مصدرٍ للأمان المادّيّ؛ أنا والده وعليّ أن أبقى متواجدًا في حياة طفلي". تخلّى "رامي" عن عمله في دبي، وعاد إلى لبنان، حيث يعمل مقابل 10% من مدخوله في الخارج.الآن، يعيش "رامي" بالقرب من طفله، ويقول: "حتّى لو تزوّجتُ يومًا ما، سوف أحرص على أن أبقى جزءًا من التّفاصيل الصّغيرة في حياة طفلي؛ كأن أضعَه في السّرير أو أن أطبخَ له أو أن أُقلّمَ أظافره ...".

شاهِدوا على هذا الرّابط قصّة "رامي" و"جبران": https://www.youtube.com/watch?v=DQtbAoHFgr8

جينيفال أبٌ بعمر السّتّة والثّلاثون، من ريو دي جينيرو، تحدّى الأعراف التّقليديّة المتعلّقة بدَوْر الأب والمتعارَف عليها في البرازيل." طفلته "آليسيا"، عمرها تسع سنواتٍ. في البرازيل، يقتصِر دَوْر الأب على تأمين المستلزمات الحياتيّة للأطفال، ولا يتضمَّن تقديم الرّعاية. ولكنَّ "جينيفال" بعد المشاركة في بَرنامج "بروموندو"، أدرك الحاجة إلى أن يبنِيَ علاقةً أقوى بزوجته، وأن يشاركَ في تربية ورعاية طفلته. يُعرِّف "جينيفال" الأُبوّة بأنّها رائعةٌ ومليئةٌ بالتّحدّيات. ويقول إنّ الرّعاية بالطّفل هي أيضًا ضروريّةٌ ومفيدةٌ للأب، وليس فقط للطّفل. يشجِّع "جينيفال" طفلته "آليسيا" لخَوْض التّحدّيات ولطَرْح الأسئلة عن الحياة. يرى أنّ المجتمع ليس جاهزًا للآباء؛ مثلًا فالحمّامات الخاصّة بالذّكور لا تحوي أماكنَ لتغيير الحفاض. والرّجال في خلال تربيتهم، لا يتعلّمون كيفيّة الاهتمام بالأطفال أو كيفيّة الاهتمام بشَعْر بناتهم.

"يقول "جينيفال": "أكثر ما أُحبّه في رعاية طفلتي هو الاهتمام بشَعْرها، وهي تُحبّ ذلك أيضًا.
تزوّج "جينيفال" وزوجته منذ ستّة عشر عامًا، وهما يتواصلان بشكلٍ جيّد جدًّا، ويشاركان بعدالةٍ في رعاية طفلتهما "آليسيا".

ما الّذي يجمع هذَيْن الأبوَيْن؟ من البرازيل إلى لبنان، هذان الأبوان أدركا التّغيُّر في دَوْريهما ضمن حياة طفليهما. الأمّ والأب هما مقدّما الرّعاية الأوائل والمعلّمان الأكثر أهمّيّة في حياة الطّفل؛ والآباء تحديدًا يلعبون دَوْرًا أساسيًّا في نموّ أطفالهم وحُسن حالهم. تركّز دراسةٌ بحثيّةٌ جديدةٌ على اللّعب بين الأب والطّفل، وتأثيره الممكن في نموّ الأطفال الصّغار ـ ما بين البداية والثلاث سنواتٍ ـ وجدت أنّ لَعِبَ الأب مع طفله، وبخاصّةٍ اللّعب الجسديّ الخشن والقويّ، يُسهِم في مخرجات نموّ الطّفل الاجتماعيّ، العاطفيّ والمعرفيّ.الآباء يماسون أنواعًا أُخرى من اللّعب أيضًا. ونرى من "جينيفال" و"رامي" أنّهما يُسهِمان في حُسن حال أطفالهم من خلال أُمورٍ بسيطةٍ، لا تعترف الكثير من المجتمعات بأنّها من دَوْر الأب مثل: الاعتناء بشَعْر الطّفل، الطّبخ أو المساعدة في الاستحمام... بإمكان الآباء أن يشكّلوا مثالًا أعلى لِما يُمكن للرّجل أن يكونَ في حياة أطفالهم وفي حياة شريكة حياته.

إلى جانب الأمّهات، الضّغط الذّي واجهه الآباء في خلال جائحة كورونا كان هائلًا. إغلاق المدارس ودور الحضانة، وَضَعَ الأهل أمام تحدّياتٍ ومسؤوليّاتٍ كبيرةٍ، منها العمل من المنزل. كما أنّ جائحة كورونا أدّت إلى خسارة العديد من العائلات مداخيلها.

اليوم، في عيد الأب، تودّ شبكة العمل من أجل تنمية الطفولة المبكرة" (ECDAN) ومؤسسة بروموند (Promundo) والشّبكة العربيّة لتنمية الطّفولة المبكرة (ANECD) ، معايدة الآباء جميعًا في العالم! نطلب إلى الجهات المموِّلة، صانعي القرار، أصحاب العمل ومنفِّذي المبادرة من خلال:

1. الاستثمار في برامج الوالديّة، والحملات الّتي تشدّد على أهمّيّة دَوْر الأب في الرّعاية والتّنشئة.
2. الاستثمار في الدّراسات والأبحاث الّتي تركّز على دَوْر الأب في تنمية الطّفولة المبكرة، وفي سياقاتٍ متنوّعةٍ.
3. تبنّي ممارساتٍ صديقةٍ للعائلة في أماكن العمل، وتقديم الدّعم للأمّهات والآباء على حدٍّ سَواء.
4. تبنّي اجازة أُبوّةٍ، كي يستطيعَ بناء الرّوابط مع أطفالهم الرُّضَّع.
5. تصميم الأماكن العامّة بما يسمح للآباء بالاهتمام بأطفالهم.

الطّريق طويلٌ من أجل تحقيق التّغيير في النّظرة العالميّة لدَوْر الأب. ولكن، يوجد أكثر من "جينيفال" و"رامي" في العالم. هؤلاء الآباء يثبتون أنّ الأب، عندما يحصل على الفرصة، يُمكنه أن يلعبَ دَوْرًا فعّالًا في حياة أبنائه.